وحدة أعلام الشعر العربي الحديث والمعاصر/ جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية
قسم اللغة العربية وآدابها
السنة الأولى ماستر: أدب عربي حديث ومعاصر / أ. ريـــلـــي
المحاضرة: 1

الموضوع: محمود سامي البارودي(1839- 1904)

1. نشأته وحياته:

هو **الوزير القائد الشاعر محمود سامي باشا البارودي بن حسن بك حسني**، وهو من أصل شركسي، ولكنّه وُلِد في مصر ونشأ فيها، ولم يكد يبلغ السادسة من عمره حتى رزأه الموت في أبيه، فتولاه بعض أهله، فأدخلوه المدرسة الحربية فتعلّم الفنون العسكرية وخرج منها ضابطا، فجعل يترقى في رتب الجيش بكفايته ونزاهته وعفته وشجاعة نفسه، وكان وهو غض الحداثة مولعا بحفظ الشعر وانشاده، فأخذ نفسه يدرس دوواين الفحول من شعراء العرب حتّى شبّ فصيح اللّسان، مطبوعا على الإعراب دون علم النحو، ثمّ فاض ما حفظ على لسانه فانطلق برائق الشعر في الأغراض المختلفة، وسافر إلى الآستانة فدرس اللغتين التركية والفارسية، وتضلع من آدابها حتى عُدّ من شعرائهما، اتصل هناك بالخديو إسماعيل عام 1289 ه، فألحقه بحاشيته وعاد به إلى مصر.

كان أحد ضباط الحملة المصرية التّي ساعدت الدولة العلية أثناء ثورة البلقان، وإقريطش، فأبلى فيها بلاء حسنا، فلما عاد إلى مصر نُقل إلى المناصب الإدارية فوُليَ مديرا للشرقية ثم رئيسا للضبطية، وفي عهد توفيق تقلّد نظارة الأوقاف، ووصل إلى رتبة (فريق) وتولّى الجهادية قبيل الثورة العرابية، فلّما كان الاحتلال الإنجليزي وقبض على زعماء الفتنة كان البارودي منهم، فحُوكم ونُفي إلى جزيرة سرنديب(سيلان)، ولبث في منفاه إلى أن عفِيَ عنه وأبيح له التمتع بالحقوق المدنية فعاد إلى الوطن، فلم يعش بعدها إلاّ خمس سنين قضاها في سكون الشيخوخة وادعا قانعا بين مطالعة الكتب، ومحادثة الصحب، وقد كفّ بصره قُبيل موته سنة 1322 ه.

2. شعره:

إن لامرئ القيس فضل في تمهيد الشعر وتقصيده، ولبشار في ترقيته وتجويده، فللبارودي كلّ الفضل في إحيائه وتجديده، حيث كان الشعر في عهده صورة مشوهة من آثار القرون الأخيرة المظلمة.

ويمتاز شعر البارودي بسطوة القول، وجزالة اللفظ، وفحولة النظم، ورصانة القافية وإشراق الديباجة، حتى ليمكن أن يقال لأنه لم يجيء من بعد العصر العباسي الثاني من يبرع البارودي في هذا الباب أو يدانيه، ولقد عارض فحول الشعراء من المتقدمين وجال مجالهم، فلم ينقطع دونهم ولا تخلّف عنهم.

كان البارودي مبتكر معان لا مبدع أساليب، ولكنّه كان رائضٍ قَوافِ وصائغِ قريض:قد كلِف بالنغمة، وانصرف إلى الصنعة، فآثر المعنى الضئيل في اللّفظ الجزل، على المعنى في اللّفظ الغث، وقد أجاد وأبدع في الفخر والحماسة والوصف.

3. مؤلفاته:

له كتاب(**مختارات البارودي**) في أربعة أجزاء وهو مجموع ما اختاره لثلاثين شاعرا من شعراء العصر العباسي في أغراض مختلفة، وقد نهج في اختياره طريقته في نظمه، فآثر حسن اللّفظ على حسن المعنى وقح المبنى، وله(**ديوان شعر**) في جزأين قد طُبع في مصر.

4. نموذج من شعره:

. قال في الحماسة والفخر:

ونقعٍ كلَجّ البحـــر خضت غمـــاره	**ولا مـــعـــقلُ إلاّ المناضل والـــــــجُردُ**
صبـــــرت له والموت يحمر تـــــارة	**ويـــنغـــل طـــورا في العَجاج فـــيسوَدُّ**
فما كنت إلاّ الليث أنهضه الطّوي	**ومـــا كـــنـــت إلاّ السيـــف فارقه الغمِد**
صؤول وللأبطال هَمْسٌ من الوني	**ضروب وقلبٌ القرنِ في صدره يعدو**
فـــــما مهجة إلا ورمحي ضميرُها	**ولا لـــــبُّه إلاّ وســـيفـــي لها عقـــــــد**

. وقال يُرثي زوجته:

لا لـــوعتي تدع الفؤاد ولا يـــدي	**تـــقـــوى على ردّ الحبيب الغادي**
يا دهـــرُ فيمَ فجعتني بـــحليلـــة	**كانت خلاصة عُدّتي وعتـــادي؟**
إن كنت لم ترحم ضناي لبُعدهـــا	**أفلا رحمت من الأسى أولادي؟**
ومن البلية أن يسامَ أخو الأسى	**رغْـــي التجلـــــّد وهو غيرُ جماد**
هيهـــات بعدك أن تقر جوانحي	**أسفا لبُعـــــدك أو يلين مِهادي**
ولهى عليك مُصاحب لمسيرتي	**والـــدمع فيك مُلازم لوســـادي**
فـــإذا انتهيت فأنتِ أول ذِكرتي	**وإذا أويـــتُ فـــأنتِ آخـرُ زَادي**

وقال من قصيدة بعد عودته من المنفى، ومروره بقصر الجزيرة، فتذكّر غهد إسماعيل:

هل بالحمى عن سرير الملك من يزعٍ	**هـــيهات قـــــد ذهب المتبوع والتبـــع**
هـــذي الجزيرة فانظر هل ترى أحـــدا	**بنأى به الخوف أو يدنو به الطمـــع**
أضحت خـــــلاء وكانت قبل منـــزلة	**للـــمـــــــلك منها لوفد العـــز مـــــــرتبع**
فـــــلا مجيب يـــسرد القول منزلـــــة	**ولا سـمـــــــــيع إذا نـــــاديت يستمـــع**

ومنها:

زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهـــــم	**ولا تعـــطلـــت الأعـــيـــاد والجمع**

والدّهر كالبحر لا ينفك ذا كدر	وإنّــما صفــوه بين الــورى لــمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه	ما شاب أخلاقه حرص ولا طمع